الأصدقاء



جمع وترتيب
محمد بن علوي العيدروس (سعد)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولاً وامتناناً، وألّف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخواناً، ونَزَعَ الغِل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء وأخداناً، وفي الآخرة رفقاء وخِلاّناً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً.

أما بعد:

فإن التّحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القُربات، وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات، ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى، وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات، ونزغات الشيطان، فبالقيام بحقوقها يتقرّب إلى الله زُلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات.

فقد تحدث الكثير من العلماء الأجلاء في مؤلفاتهم العظيمة عن الصحبة والصداقة والأخوة بما لا يحصى من النصائح والفوائد لمن أراد أن يتخذ له صديقاً حقاً.

وهذا كتاب يتحدّث عن الصداقة والأخِلاّء والأصحاب، ومن تصادق ومن تختاره لك قرينا وصاحباً.

حديثه ﷺ عن الصداقة

* روى الشيخان في صحيحهما: عن النبي ﷺ "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلّق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه".

* وروى مسلم: "أن رجلاً زار أخاً في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد..؟ قال أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها..؟ قال: لا، غير أني أحبه في الله، قال: فإني رسول الله إليك، إن الله قد أحبك كما أحببته فيه"[1].

* وروى الدار قطني: "المؤمن يَألَف ويُؤلَف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف". "وخير الناس أنفعهم للناس"[2].

* وروى الإمام أحمد: "المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" [3].

* وروى الطبراني " رأس العقل بعد الإيمان بالله التحبب إلى الناس".

وروى أيضاً: "إن من المتحابين في الله في ظل العرش"[4].

وروى أيضاً: "من أحب قوماً حُشر في زمرهم"[5].

---

(1) رواه مسلم عن أبو هريرة.

(2) رواه أبو داود.

(3) رواه البزار عن أبي هريرة...الخ.

(4) رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي مسلم الخولاني.

(5) رواه البخاري ومسلم عن أبي مسعود.

* وروى الترمذي: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"[1].

* وروى ابن النجار: "استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة"[2].

* قال رسول الله ﷺ: "المرء مع من أحب"[3].

آثار السلف الصالح في المتحابين

ونذكر شيئا منها:

* قال الإمام الشافعي: "لولا صحبة الأخيار، ومناجاة الحق – تعالى – بالأسحار، ما أحببت البقاء في هذه الدار".

* وقال أيضا: " لقاء الإخوان ليس يعدله عندي شيء".

* وقال بشْر الحافي رحمه الله: "عليك بصحبة الأخيار إن أردت الراحة في تلك الدار وتنفك من رق الأغيار".

* وقال الشيخ أبو المواهب الشاذلي رحمه الله: "عليك بتكثير سواد القوم، فإن من كثّر سواد قوم فهو منهم".

* وقال أيضاً: "عليك بصحبة الفقراء فإنه لو لم يكن إلا أخذهم بيدك يوم القيامة، مع ما يحملون عن أصحابي في الدنيا من المصائب لكان في ذلك كفاية، وكم استغنى بصحبتهم فقير، وجبر كسير، وارتفع وضيع، وستر شنيع، وهلك ظالم، وارتفعت مظالم، وفيهم ورد الحديث: "بهم ترزقون وتمطرون وترحمون"[4].

---

(1) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي موسى.

(2) رواه ابن النجار في تاريخه عن أنس رضي الله عنه.

(3) رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود.

(4) من كتاب المختار من الأنوار في صحبة الأخيار ص (٣٩).

ومن كتاب إحياء علوم الدين

"ينبغي أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال:

١. أن يكون عاقلاً.

٢. حسن الخلق.

٣. غير فاسق.

٤. غير مبتدع.

٥. غير حريص على الدنيا.

قال الإمام علي رضي الله عنه:

ولا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا المرء ما شاه
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وقال أيضاً:

إن أخاك الحق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب زمان صدعك
شتت فيه شمله ليجمعك

* وقال الشاعر:

النــــاس شــــتى إذا مــــا أنــــت ذقتــــهم

لا يــــستوون كمــــا لا يــــستوي الــــشجر

هــــذا لــــه ثمــــر حلــــو مذاقتــــه

وذالــــك لــــيس لــــه طعــــم ولا ثمــــر"[1]

حقوق الأخوة والصحبة:

• **الحق الأول:** في المال قال رسول الله ﷺ مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الآخر، وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل لأهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الإخوان، إنما تتم إخوتهما إذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السرّاء والضرّاء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب:

* أدناها: أن تترله مترلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك، فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء و لم تحوجه للسؤال فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة.

* الثانية: أن تترله مترلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله مترلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال، قال الحسن كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه.

* الثالثة: وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدّم حاجته على حاجتك، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين، ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضاً.

---

(1) كتاب إحياء علوم الدين الجزء الثاني ص (١٥٠).

● **الحق الثاني**: في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة، وهذه أيضا لها درجات كالمواساة بالمال:

* فأدناها: القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة، ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة.

● **الحق الثالث**: (في اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى) أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته، بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله..، وليسكت عن أسراره التي بثّها إليه ولا يبثها إلى غيره البتة ولا إلى أخص أصدقائه، ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة..، وأن يسكت عن القدْح في أحبابه وأهله وولده.

"واعلم أنك لو طلبت منزهاً عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلاً، فما من أحد من الناس إلا وله محاسن، ومساو فإذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية المنتهى".

● **الحق الرابع**: على اللسان بالنطق، فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضي أيضا النطق بالمحاب، بل هو أخص بالأخوة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور..، ومن ذلك أن تثني عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثره هو الثناء عنده. فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة، وكذلك أن تدعوه بأحب أسمائه إليه، وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وإفراط.

● **الحق الخامس**: العفو عن الزلاّت والهفوات وهفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية، أو في حقك بتقصيره في الأخوة، أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما يقوم أوده

ويجمع شمله، ومهما اعتذر إليك أخوك كاذباً كان أو صادقاً فاقبل عذره، قال عليه الصلاة والسلام: "من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب المكس"[1].

قال الشاعر:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه

على شعث أي الرجال المهذب

● **الحق السادس:** الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به، فتدعو له كما تدعوا لنفسك ولا تفرّق بين نفسك وبينه، فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق، فقد قال ﷺ: "إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك"، وفي لفظ آخر يقول الله تعالى: "بك أبدأ يا عبدي". وفي الحديث: "دعوة الرجل لأخيه في ظهر الغيب لا ترد".

● **الحق السابع:** الوفاء والإخلاص، ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما يراد للآخرة فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي.

● **الحق الثامن:** التخفيف وترك التكلف؛ والتكليف وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته، ويرفهه عن أن يحمله شيئا من أعبائه فلا يستمد منه من جاه ومال، ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه، بل لا يقصد بمحبته إلا الله تعالى تبركاً بدعائه؛ واستئناساً بلقائه؛ واستعانة به على دينه

---

(1) رواه ابن ماجه .

وتقرباً إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته، وقد قيل في معنى التواضـــع ورؤيـــة الفضل للإخوان أبيات:

كـــــم صـــــديق عرفتــــه بــــصديق
صـــار أحظـــى مـــن الـــصديق العتيـــق
ورفيـــــــق رايتــــــه في طريـــــــق
صـــار عنـــدي هـــو الـــصديق الحقيقـــي[1]

اختلاف مذاهب الناس في كثرة الإخوان

"وقد اختلفت مذاهب الناس في اتخاذ الإخوان. فمنهم من يرى أن الاستكثار منهم أولى، ليكونوا أقوى منعة ويداً، وأوفر تحبباً وتودداً، وأكثر تعاوناً وتفقداً، وقيـــل لبعض الحكماء: ما العيش؟ قال: إقبال الزمان وعز السلطان، وكثرة الإخوان. وقيـــل: حلية المرء كثرة إخوانه.

ومنهم من يرى أن الإقلال منهم أولى، لأنه أخف أثقالاً وكلفاً، وأقل تنازعـــاً وخُلْفاً، وقال الإسكندر: المستكثر من الإخوان من غـــير اختيـــار، كالمـــستوقر مـــن الحجارة[2]. والمُقِلُّ من الإخوان المتخيّر لهم، كالذي يتخيَّر الجوهر.

وقال عمرو بن العاص: من كثُر إخوانهُ كثر غرماؤه.

وقال إبراهيم بن العباس: مثل الإخوان كالنار: قليلها متاع، وكثيرها بَوَار.

---

(1) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي الجزء الثاني ص (١٥٠).

(2) المستوقر من الحجارة: المتخذ وقرا منها: وهو الحمل الثقيل.

ولقد أحسن ابن الرومي في هذا المعنى ونبّه على العلّة، حيث يقول:

عـــــدوك مـــــن صـــــديقك مـــــستفاد
فــــلا تــــستكثرن مــــن الــــصحابِ

فـــإن الـــداء أكثـــر مـــا تـــراهُ
يكـــون مـــن الطعـــام أو الـــشرابِ

ودع عنـــك الكـــثير فكـــم كـــثير
يُعـــافُ وكـــم قليـــلٍ مـــستطابُ

فمـــا اللُّجَـــج المِـــلاح بمرويـــاتٍ
وتلقـــى الـــرّي في النُّطَـــف العِـــذاب

وقال بعض البلغاء: ليكن غرضك في اتخاذ الإخوان، واصطناع النصحاء تكثير العُدّة، لا تكثير العِدّة، وتحصيل النَفع، لا تحصيل الجَمع، فواحد يحصل به المراد، خير من ألف تُكثّر الأعداد.[1]

(1) كتاب أدب الدنيا والدين (١٧١، ١٧٢).

أقسام الداخلين في عدد الإخوان

"وإذا كان الأمر على ما وصفنا، فقد تنقسم أحوال مَن دخل في عدد الإخوان أربعة أقسام: منهم من يعين ويستعين، ومنهم من لا يعين ولا يستعين، ومنهم من يستعين ولا يعين، ومنهم من يعين ولا يستعين:

– **فأما المعين والمستعين:** فهو معاوِض منصِف، يؤدّي ما عليه، ويستوفي ماله فهو كالمقرِض، يُسعف عند الحاجة، ويسترد عند الاستغناء، وهو مشكور في معونتِه، ومعذور في استعانته، فهذا أعدل الإخوان.

– **وأما من لا يعين ولا يستعين:** فهو متروك، قد مَنع خَيرَه، وقمَع شره، فهو لا صديق يرجى، ولا عدوّ يخشى، وقد قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: "التارك للإخوان متروك، وإذا كان كذلك فهو كالصورة الممثلة، يروقك حسنها، ويخونك نفعها؛ فلا هو مذموم لقمع شره، ولا هو مشكور لمنع خيره، وإن كان باللوم أجدر، وقد قال الشاعر:

وأسوأ أيام الفتى يوم لا يَرَىَ

له أحد يزري عليه ويُنكر

غير أن فساد الوقت وتغيّر أهله، يوجب شكر من كان شره مقطوعاً، وإن كان خيره ممنوعاً، كما قال المتنبي:

إنّا لفي زمن ترك القبيح به

من أكثر الناس إحسان وإجمالُ

- **وأما من يستعين ولا يعين:** فهو لئيمٌ كَلٌّ، ومهينٌ مُستذل، قد قطع عنه الرغبة، وبَسط فيه الرَّهبة، فلا خيرُهُ يُرجى، ولا شرُّهُ يؤمن، وحسبك مهانةً من رجل مستثقَل عند إقلاله، ويُستَقل عند استقلاله، فليس لمثله في الإخاء حظ، ولا في الوداد نصيب، وهو ممن جعله المأمون من داء الإخوان لا من دوائهم، ومن سَمّهم لا من غذائهم، وقال بعض الحكماء: شرّ ما في الكريم أن يمنعك خيرَه، وخير ما في اللئيم أن يكف عنك شرّه.

وقال ابن الرومي:

عذرنا في إبداءِ شوكٍ
يردّ به الأنامل عن جَناهُ
فما للعوسج الملعون أبدى
لنا شوكاً بلا ثمر نراه؟

- **وأما من يعين ولا يستعين:** فهو كريم الطبع، مشكور الصنع، وقد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء فلا يرى ثقيلاً في نائبة، ولا يقعد عن نهضة في معونة؛ فهذا أشرف الإخوان نفساً، وأكرمهم طبعاً، فينبغي لمن أوجد له الزمان مثله -- وقل أن يكون له مثل، لأنه البر الكريم، والدرّ اليتيم -- أن يثني عليه خنصرهُ، ويعض عليه بناجذه، ويكون به أشد ضنّاً منه بنفائس أمواله، وسَنيّ ذخائره، لأن نفع الإخوان عام، ونفع المال خاص، ومن كان أعمّ نفعاً، فهو بالإدخار أحق.

وقال الفرزدق:

يمضي أخوك فلا تُلْقَى له خلفاً
والمال بعد ذهاب المال مكتسبُ"[١]

حقوق وواجبات للصديق:

اعلم أن حقوق الصحبة كثيرة ولكن نذكر لك جملة من الحقوق التي لابد منها:

وأعلم أيضا أن المشائخ قد حثوا على الاعتناء في حقوق الإخوان وقالوا: "من ضيع حقوق إخوانه، ابتلاه الله تعالى بتضييع حقوقه، وإذا ابتلى عبداً بذلك مقته[٢]، وإذا مقت الله عبداً طرحه في النار".

وإذا علمت ذلك فأقول:

من حق الأخ على الأخ: "أن يتعامى عن عيوبه، فقد قال المشائخ: "من نظر إلى عيوب الناس قلّ نفعه وخرب قلبه".

ومن حق الأخ على الأخ: "أن يحمل ما يراه منه على وجه من التأويل، جميل ما أمكن فإن لم يجد تأويلاً رجع على نفسه باللوم".

ومن كلام سعيد بن المسيب: "ما من شريف ولا ذي فضل إلا وفيه نقص، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه، وهب نفسه لفضله".

ومن حق الأخ على الأخ: "ألا ينظر إلى زلة سبقت، ولا يكشف عورة سترت". وفي الحديث: "من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة من قبرها"[٣].

ومن حق الأخ على الأخ: "ألا يعيره بذنب ولا غيره، فإن المعاير تقطع الود أو تكدر صفاءه".

ومن حق الأخ على الأخ: "ألا ينظر إليه بعين الاحتقار، فقد قال المشائخ: "من نظر إلى أخيه بعين احتقار عوقب بالذل". وفي الحديث: "من نظر إلى أخيه نظرة ودٍّ غفر الله له"[٤].

ومن حق الأخ على الأخ: إذا اطلع على عيب فيه، أن يتهم نفسه في ذلك ويقول: إنما ذلك العيب فيَّ، لأن المسلم مرآة المسلم، ولا يرى الإنسان في المرآة إلا صورة نفسه".

وقد صحب رجل أبا إسحاق إبراهيم بن أدهم فلما أراد أن يفارقه قال له: "لو نبهتني على ما فيَّ من العيب! فقال له: "يا أخي لم أرَ لك عيباً، لأني لحظتك بعين الولاء، فاستحسنت منك ما رأيت، فاسأل غيري عن عيبك" وفي هذا المعنى انشدوا:-

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

كما أن عين السخط تبدى المساويا

ومن حق الأخ على الأخ: "أن يرى نفسه دونه على الدوام، وذلك على سبيل الظن والتخمين فقد قالوا: "من لم ير نفسه دون أخيه لم ينتفع بصحبته".

ومن حق الأخ على الأخ: أن يؤثره على نفسه في كل شيء.

ومن حق الأخ على الأخ: أن يحترمه ويوقره لاسيما إذا استحق ذلك كأن كان من العلماء أو من حملة القرآن الكريم، أو من عترة رسول الله ﷺ.

ومن حق الأخ على الأخ: أن يكرمه إذا ورد عليه، بأن يتلقاه بالترحيب وطلاقة الوجه ويأخذه بالعناق إن كان رجلاً، ويفرش له شيئا يقيه من التراب.

ومن حق الأخ على الأخ: أن يوسع له في المجلس إذا رآه، فإن ذلك مما يزيد في تقوية المودة.

ومن حق الأخ على الأخ: ألا يدعوه باسمه فقط ومن وصية بعضهم: "إذا ناديت أخاك فعظمه تثبت مودته".

ومن الجفاء للأخ: نداؤه الخالي عن الكنية واللقب، ولفظ السيادة وكذلك أولاده وأحفاده، غيبة وحضوراً.

ومن حق الأخ على الأخ: أن يصافحه كلّما لقيه بنيّة التبرك وامتثال الأمر.

ومن حق الأخ على الأخ: إذا لاقاه وصافحه أن يصلي ويسلم على النبي ﷺ ويذكره بذلك.

ومن حق الأخ على الأخ: أن يهاديه كل قليل من الأيام، لاسيما إذا بلغه عنه وقفة. وفي الحديث: "تهادوا تحابوا وتصافحوا يذهب الغلّ عنكم".

ومن حق الأخ على الأخ: أن يرشده إلى ترك البغي على من بغى عليه وأن ينتصر بالله تعالى، إذ أن إرشاد الأخ المظلوم إلى الانتصار بالله تعالى، والتسليم إليه سبحانه وتعالى من أكبر نصرة الأخ.

ومن حق الأخ على الأخ: مساعدته له في التزويج، وقد ذكروا: "أن الإعانة في ذلك أفضل من إعانة الغزاة والمكاتبين، إذ هو أفضل نوافل الخيرات، والأجر يعظم بعظم السبب فلولا النكاح ما وجد مجاهد ولا عابد لله تعالى".

ومن حق الأخ على الأخ: أن يقبل اعتذاره ولو كان مبطلاً، وفي معنى ذلك:

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً
إن برّ عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره
وقد أجلك من يعصيك مستترا

وأنشد كذلك:

قيل لي قد أسا إليك فلان
ومقام الفتى على الذل عار

قلت قد أتى وأحدث عذراً
دية الذنب عندنا الاعتذار

* وقيل أيضا :

إذا اعتــــذر الــــصديق إليــــك يومــــا
تجــــاوز عــــن مــــساويه الكــــثيرة

فــــإن الــــشافعي روى حــــدثا
بإســــناد صــــحيح عــــن مغــــيرة

عــــن المختــــار أن الله يمحــــو
بعــــذر واحــــد ألفــــيْ كــــبيرة

ومن حق الأخ على الأخ: إذا أراد سفراً ألا يخرج حتى يودعــه بالعنــاق إن كان رجلاً وبالإشارة إن كان صغيراً.

ومن حق الأخ على الأخ: إذا رجع من سفره أن يذهب إليه في مترله فيسلم عليه ويهنئه بالسلامة، وكذلك ولده وسائر أعزته أو شفوا من مرض فمــن حقــه أن يذهب إليه أخوه ويهنئه بالسلامة.

ومن حق الأخ على الأخ: أن يشاوره في كل أمر مهم، فقــد ذكــروا أن المشاورة تزيد في صفاء المودة.

وأنشدوا:

شــــاور أخــــاك في الخفــــي المــــشكل
واقبــــل نــــصيحة فاضــــل متفــــضل

وأنشدوا أيضا:

شــــاور أخـــــاك إذا نابتـــــك نائبــــة
يومــــاً وإن كنــــت مــــن أهــــل المـــشورات

فـــالعين تلقـــى كفاحـــا مـــا نـــأت ودنـــت
ولا تـــــرى نفـــــسها إلا بمـــــرآة

ومن حق الأخ على الأخ: أن يتفقد عياله وأولاده إذا غاب عنـــهم، ومـــن كلامهم: "من لمن يتفقد عيال أخيه في غيبته، فقد خان الصحبة".

ومن حق الأخ على الأخ: (أن يرجو له من الخيرات والمسامحة ، وقبول التوبة ولو فعل من المعاصي ما فعل ، كما يرجو ذلك لنفسه).

ومن حق الأخ على الأخ: أن يخدمه إذا مرض فقد ذكـــروا :(أن الفتـــوة في خدمـــة الأخوان .

ومن حق الأخ على الأخ: أن يشاطره في ماله وغيره.

ومن حق الأخ على الأخ: ألا يتكدر منه إذا قال له: أنا أبغضك ويفتش على الصفات التي أبغضه لأجلها فيزلها، فإن زال بغضه وإلا كرر التفتيش ثانياً وثالثاً.

ومن حق الأخ على الأخ: أن يكتم سرّه إذ السر كالعورة، وقـــد حـــرم الله كشفها والنظر إليها، والتحدث بها.

ومن حق الأخ على الأخ: ألا ينساه من الدعاء والمغفرة والرحمة.

ومن حق الأخ على الأخ: أن لا يتزوج له زوجة طلقها، أو مات عنها ولـــو أوصاه بذلك وقال: "أنت أحق من الغير".

ومن حق الأخ على الأخ: ألا يؤاخذه إذا قصر في حقه مراعاة للأدب(٥).

حِكَم في الصداقة

من حِكَم الإمام علي كرم الله وجهه:

* أبعد الناس سفراً من كان في طلب صديق يرضاه.

* إجعل سرّك إلى واحد، ومشورتك إلى ألف.

* أحب الناس إليك من كثرت أياديه عنك.

* إحمد من يغلط عليك ويعظك لا من يزكيك ويتملقك.

* إذا أحسن أحدٌ من أصحابك فلا تخرج إليه بغاية برّك ولكن اترك منه شيئاً تزيده إياه عند تبينك منه الزيادة في نصيحته.

* إذا صادقت إنساناً وجب عليك أن تكون صديق صديقه، وليس يجب عليك أن تكون عدو عدوه، لأن هذا إنما يجب على خادمه وليس يجب على مماثل له.

* مخالطة الأشرار من أعظم الأخطار.

* إذا غشك صديقك اجعله مع عدوك.

* أطع أخاك وإن عصاك وصله وإن جفاك.

* إياك وكثرة الإخوان فإنه لا يؤذيك إلا من يعرفك.

* إياك ومصادقة البخيل فإنه يَقْعُدُ بِكَ عند أحوج ما تكون إليه.

* إياك ومصادقة التاجر فإنه يَبيعُكَ في نفاقه.

* إياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرّب إليك البعيد ويبعد عليك القريب.

* ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاث: لا يعرف الشجاع إلا في الحرب، ولا الحليم إلا عند الغضب، ولا الصديق إلا عند الحاجة.

* حسد الصديق من سقم المودة.

* صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار.

* سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار.

* خير الإخوان من إذا استغنيت عنه لم يزدك في المودة، وان احتجت إليه لم ينقصك منها.

* السفر قطعة من العذاب، والرفيق السوء قطعة من النار.

* شر الإخوان من تكلف له.

* الصاحب كالرقعة في الثوب فاتخذه مشاكلاً.

* صديقك من نهاك، وعدوك من أغراك.

* كفر النعمة لؤم وصحبة الجاهل شؤم.

*لا تجالسوا إلاّ من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في عملكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله.

* لا تصاحب في السفر غنياً فإن ساويته في الإنفاق أضرّ بك، وإن تفضّل عليك استذلك.

* لا تضَع سرك عند من لا سرَّ له عندك.

* لا تؤاخ شاعراً فإنه يمدحك بثمن ويهجوك مجاناً.

* لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته وغيبته ووفاته.

* من خالط الأنذال حُقِّر، ومن جالس العلماء وُقِّر.

* ليكن أصدقاؤك كثيراً واجعل سرّك منهم إلى واحد.

* من عذُبَ لسانه كثر إخوانه.

* من لم يحمد صاحبه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة.

* ليس يضرك أن ترى صديقك عند عدوك فإنه إن لم ينفعك لم يضرك.

* من كرم المرء: بكاؤه على ما مضى من زمانه وحنينه إلى أوطانه وحفظه لقديم إخوانه.

فائدة عن الصداقة:

وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الـــذي عــــرف بالسماع بل آكد منه والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط، وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في الدرس والمكتب آكد من حق صـــحبة الـــسفر، وكـــذلك الصداقة تتفاوت فإنها إذا قويت صارت أخوة فإن ازدادت صارت محبة، فـــإن ازدادت صارت خلة والخليل أقرب من الحبيب بالمحبة ما تتمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سرّ القلب، فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلاً، وتفاوت درجات الـــصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة، فأما كون الخلة فوق بالأخوة فمعناه أن لفـــظ الخلـــة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة.

* والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بهـــا غيره إلا إذا أحبه.

* وقال بعض الأدباء: لا تثق بالصديق قبل الخِبرة ولا تقع بالعدو قبل القدره.

* وقال بعض الأدباء: من خير الاختيار صحبة الأخيار، ومن شر الاختيـــار صـــحبة الأشرار.

الأبيات التالية تقول انه يمكن أن نقول أن الأخ الصدوق جدير بان يغض الطرف عـــن إساءته لأنه واحد من البشر ، والبشر فيهما صفتان الخطأ والصواب ، قال الشاعر :

عاشـــر أخـــاك علـــى مـــا كـــان مـــن خلـــق

وأحفـــظ مودتـــه بالغيـــب مـــا وصـــلا

فـــأطول النـــاس غمـــا مـــن يريـــد أخـــا

ذا خلـــة لا يـــرى في وده خلـــلا

والأبيات التالية مناقضة للأبيات التي قبلها فهذه الأبيات صاحبها يرى :(من لا يردك لا ترده):

غلـــط الفـــتى في قولـــه

(مـــن لا يـــردك لا تـــرده)

مـــن نـــاقش الأخـــوان لم

يبـــدأ العتـــاب و لم يعـــده

عاتـــب أخـــاك إذا هفـــا

واعطـــف بفـــضلك واســـتعده

وإذا أتـــاك بغيبـــة

واش فقـــل : لم يعتمـــده

فلقلمـــا طلـــب الفـــتى

عيبـــا لخـــل لم يجـــده

وقال بعض الحكماء : اصطف من الإخوان ذا الدين والحسب والرأي والأدب فانه ردء لك عند حاجتك ويد عند نائبتك وانس عند وحشتك وزين عند عافيتك .

وأكثر ما تستعمل العرب لفظ (الرفيق) على صديق السفر أو الصاحب في الطريق ومن هنا جاء قول الشاعر :

أكـــرم رفيقـــك واعلـــم حـــين تـــصحبه
أن الرفيـــــق أخ مـــــا ضـــــمه الـــــسفر

وقال آخر في المعنى نفسه :

كـــــم صـــــديق عرفتـــــه بـــــصديق
كـــــان أصـــــفى مـــــن الـــــصديق العتيـــــق
ورفيـــــــق صـــــــحبته في طريـــــــق
صـــــار بعـــــد الطريـــــق خـــــير رفيـــــق

* وقال بعض الحكماء: اصطف من الإخوان ذا الدين والحسب، والرأي والأدب، فإنه ردْء لك عند حاجتك، ويدٌ عند نائبتك، وأنسٌ عند وحشتك، وزَيْن عند عافيتك.

* وينبغي أن يتوقى الإفراط في محبته فإن الإفراط داعٍ إلى التقصير، ولأن تكون الحـــال بينهما نامية، أولى من أن تكون متناهية.

* وعلى الصديق التوسط في زيارته وغشيانه غير مقلل ولا مكثر، فإن تقليـــل الزيـــارة داعية الهجران، وكثرتها سبب الملال. وقد قال النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: "يا أبا هريرة: زُر غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً".

* وقال صالح بن عبد القدوس: شرّ الإخوان من كانت مودته مع الزمان إذا أقبل، فإذا أدبر الزمان أدبر عنك.

وأنشد قائلاً:

شـــــر الأخــــــلاء مـــــن كانـــــت مودتـــــه
مـــع الزمـــــان إذا مـــا خــــاف أو رَغِبَـــــا

إذا وتَـــــرْت أمـــــراً فاحــــذر عداوتــــه
مـــن يـــزرع الـــشوك لا يحـــصُد بـــه عِنبَـــا

إن العــــــدو وإن ابــــدى مــــسالَمَةً
إذا رأى منــــك يومــــاً فرصــــة وَثَبَـــا

ومن الأبيات والأشعار التي وردت في الصداقة والأخلاء الكثير، منها:-

إذا قيــــل في الـــدنيا خليـــل فقــــل نعــــم
خليــــل اســــم شـــخص لا خليـــل وفـــاء

وإن قيــــل في الـــدنيا جـــواد فقــــل نعــــم
جــــواد ركــــوب لا جـــود عطـــــاء

قال الإمام الشافعي:

ومـــا اكثـــر الإخـــوان حـــين تعـــدّهم
ولكنـــــــهم في النائبـــــــات قليــــــلُ

وقال آخر:

سألت الناس عن خلٍ وفيٍ
فقالوا ما إلى هذا سبيلُ

تمسك إن ظفرت بذيل حرٍّ
فإن الحرّ في الدنيا قليلُ

وقال الشاعر:

فلا لي صديق سوى درهمي
ولا لي خليل سوى العافية

وقال منصور بن إسماعيل الفقيه:

احذر عدوك مرّة
واحذر صديقك ألف مرة

وقال فرنسيس مراش:

عدوّك من صديقك مستفاد
فلا تستكثرن من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه
يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشاعر:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً

صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

كفى المرء نبلاً أن تُعَدَّ معائبه

وقال الشاعر:

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً

تجاوز عن مساويه الكثيره

فإن الشافعي روى حديثاً

بإسناد صحيح عن مغيره

عن المختار أن الله يمحو

بعذرٍ واحدٍ ألَفَيْ كبيره

وقال الناشئ الأكبر:

سمعنا بالصديق ولا نراه

على التحقيق يوجد في الأنام

وأحسبه محالاً لّمعوه

على وجه المجاز من الكلام

* وهاك شيئا مما قالوه في هذا الموضوع نورده إليك تفكهة أو تبصرة:-

تغـــــير إخـــــوان هـــــذا الزمـــــان

فكـــــل خليـــــل عـــــراه الخلـــــل

وكـــــان قـــــديماً علـــــى صـــــحة

وقـــــد داخلتـــــهم صـــــروف العلـــــل

قـــــضيت التعجـــــب مـــــن أمـــــرهم

فـــــصرت أطـــــالع بـــــاب الجـــــدل

وقال آخر:

ولا بـــــد مـــــن شـــــكوى إلى ذي صـــــداقة

يـــــسليك أو ينـــــسيك أو يتوجـــــع

وقال ابن الرومي:

وزهـــــدني في النـــــاس معـــــرفتي بهـــــم

وطـــــول اختبـــــاري صـــــاحباً بعـــــد صـــــاحبِ

فلـــــم تُـــــرِني الأيـــــام خِـــــلاً تـــــسرني

مبادَيـــــة إلاّ ســـــاءني في العواقـــــب

وقال طرفة بن العبد:

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه
إن القرين بالمقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

فإن كان ذا شرٍ فجانبه سرعةً
وإن كان ذا خيرٍ فقارنه تهتدي

وقال سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:-

هموم رجال في أمورٍ كثيرة
وهمي من الدنيا صديقٌ مساعدُ

نكون كروح بين جسمين قُسِّمتْ
فجسماهما جسمان والروح واحدُ

وقال آخر:

لمودّة ممن يحبك مخلصاً
خير من الرحم القريب الكاشحِ

وقال أبو نواس:

لا تحمدنّ امرأ حتى تجربه
ولا تذمنّه من غير تجريبِ

فحمدك المرء ما لم تبلُهُ خطأ
وذمه بعد حمدٍ شرُّ تكذيبِ

وقال سراقة البارقي:

بجالـــــــــسة الـــــــــسَّفيه ســـــــــفاه رأيٍ

ومـــــــن حلـــــــم مجالـــــــسة الحلـــــــيم

فإنـــــــك والقـــــــرين معـــــــاً ســـــــواءٌ

كمـــــــا قُـــــــدَّ الأديمُ مـــــــن الأديم

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أخـــــــلاء الرخـــــــاء هـــــــم كـــــــثيرٌ

ولكـــــــن في الـــــــبلاء هُـــــــمُ قليـــــــلُ

فـــــــلا يغـــــــررك خلـــــــة مـــــــن تـــــــؤاخي

فمالـــــــك عنـــــــد نائبـــــــة خليـــــــلُ

وكـــــــل أخ يقـــــــول أنـــــــا وفيٌّ

ولكـــــــن لـــــــيس يفعـــــــل مـــــــا يقـــــــولُ

ســـــــوى خِـــــــلٍّ لـــــــه حـــــــسب وديـــــــن

فـــــــذاك لمـــــــا يقـــــــول هـــــــو الفعـــــــولُ

*وقال آخر:

مـــــــن لم تكـــــــن في الله خلتـــــــه

فخليلـــــــه مـــــــه علـــــــى خطـــــــر

* قال الشاعر:

لكـــل امـــرئ شـــكلٌ مــــن النـــاس مثلُـــه

فـــــأكثرهم شـــــكلاً أقلـــــهم عقـــــلا

وكـــــل أنـــــاسٍ آلفـــــون لـــــشكلهم

فـــــأكثرهم عقـــــلا أقلـــــهم شـــــكلا

لأن كـــــثير العقـــــل لـــــست بواحـــــد

لـــــه في طريـــــق حـــــين يـــسلكه مِـــثلا

وكـــــل ســـــفيهٍ طـــــائشٍ إن فقدتَـــــهُ

وجـــــدتَ لـــــه في كـــــل ناحيـــــة عِـــذْلا

وقال الشاعر:

لكـــــل شـــــيء عدِمتَـــــه عِـــــوض

ومـــــا لفقـــــدِ الـــــصديق مـــــن عِـــــوضِ

* وقال النابغة الذبياني:

ولـــــست بمتـــــسق أخـــــا لا تَلُمَّـــــهُ

علـــــى شَـــــعَثٍ أيُّ الرجـــــالِ المهـــــذَّبُ

* وقال بعض الشعراء:

وكـــــل أخٍ عنـــــد الهـــــوينَى ملاطـــــف

ولكنمـــــا الإخـــــوانُ عنـــــد الـــــشدائد

* وقال أبو الأسود الدؤلي:

وكن معبداً للخير واصفح عن الأذى
فإنك راءٍ ما عملت وسامعُ

وأحبب إذا أحببت حباً مقاربا
فإنك لا تدري متى أنت نازعُ

وابغض إذا أبغضت غير مباينٍ
فإنك لا تدري متى أنتَ راجعُ

* وقال عدي بن زيد:

لا تأمننْ من مبغضٍ قرب دارِه
ولا من مُحِبٍّ أن يَمَلَّ فَيُبْعُدَا

* وقال لبيد:

توقّف عن زيارة كلّ يوم
إذا أكثرتَ ملّكَ من تزُورُ

* ومن ديوان الحبيب عبدالله بن علوي الحداد:

فإيــــاكَ ان تختـــــار صــــحبة مــــن تــــرى
لــــه ظــــاهراً يعجبــــك مــــن قبــــل أن تَبْلــــي

لقــــد عــــزّ في هــــذا الزمــــان موافــــق
يعينــــك في مجــــدٍ وينــــهاك عــــن سُــــفْلِ

إذا قلــــت خــــيراً قــــال لبيــــك مــــسرعاً
وإن قُلــــتَ شــــراً قــــال أقليــــك أو تقلــــي

فمــــا عــــيش مــــن يمــــسي ويــــصبح فاقــــداً
أخــــا ثقــــةً مــــأمون في الجــــد والهــــزلِ

يــــؤازرُهُ في كــــل أمــــر يرومــــهُ
ويحفظــــه في المــــال والــــنفس والأهــــلِ

مظــــاهرةُ الإخــــوان أمــــرٌ مقــــررٌ
عليــــه يــــدور الــــشأن فاستوصــــي بالخِــــلِّ

وقال بعض الشعراء:

أيــــن الخليــــل الــــذي يرضــــيك باطنــــه
مــــع الخطــــوب كمــــا يرضــــيك ظــــاهره

وقال بعضهم:

زمــــان كــــل حــــب فيــــه خــــب
وطعــــم الخــــل خَــــل لــــو يــــذاق

لهــــم ســــوق بــــضاعته نفــــاق
فنــــافق فالنفــــاق لــــه نَفــــاقُ

وقال آخر:

لا تثق من آدمي في وداداً بصفاء
كيف ترجو منه صفواً وهو من طين وماء

وقال آخر:

دع الإخوان إن لم تلق منهم
صفاء واستعن بالله
أليس المرء من طين وماء
وأي صفا لهاتيك الجبلّة

وقال آخر :

ولما رأيتك لا صاحبا
تقيا ولا أنت بالعابد
ولا ذو العداوة بالمتفيك
ولا ذو الصداقة بالحامد
دخلت بك السوق سوق الرقيق
وناديت هل فيك من زايد
فما إن رأيت سوى واحد
يزيد على درهم واحد
فبعتك منه بلا شاهد
مخافة ردك بالشاهد
وأبت إلى منزلي حاملا
وعاد البلاء على الناقد

وقال شاعر:

لـــو قيـــل مـــا تـــتمنى قلـــت في عجـــل

أخـــــا صـــــدوقاً غـــــير خـــــوانِ

إذا فعلـــــت جمــــيلاً ظـــــل يـــــشكرني

وإن أســـــــأت تلقّـــــــاني بغفـــــــرانِ

خير صديق

أما بالنسبة في وقتنا هذا خاصة فالصداقة الحقيقية التي أردنا الوصول إليها الآن هي صداقة الكتاب، وهي صداقة ليست مشروعة ومحببة فقط بل تلبّي حاجات كـثيرة عند بعض الناس، كإشباع النهم إلى القراءة والتثقيف الذاتي والاعتزال عن المجتمع الذي فسدت فيه الصداقات وأصبحت عبئاً ثقيلاً عن المتصادقين وهذا مصداق ما قيل في هذا الباب قول أبو الطيب:

أعـــز مكـــان في الـــدنا ســـرج ســـابح

وخـــير جلـــيس في الزمـــان كتـــاب

ووجد أبو الحسن الجرجاني لذّته في معاشرة الكتاب لا في معاشرة الناس فقال:

مـــا تطعمـــت لـــذة العـــيش حـــتى

صـــرت في وحـــدتي لكـــتبي جليـــسا

لـــيس عنـــدي شـــيء يعـــادل نفـــسي

لا فـــلا أبتغـــي ســـواها أنيـــسا

إنمـــا الـــذل في مداخلـــة النـــاس

فـــدعها وعـــش كريمـــاً رئيـــسا

أما أبو فراس الحمداني يتحسر على الخل الموافق ، لأنه غير موجود في هذه الدنيا ويقول:

أكلُّ خليل هكذا غير منصف
وكل زمان بالكرام بخيل
نعم دعت الدنيا إلى القدر دعوة
أجاب إليها عالم وجهول
فياحسرتي من لي بخل موافق
أقول بشجوي مرة ويقول

- والشعراء يترددون كثيرا في مقاطعة الخليل ويلجؤون إلى الصبر عليه إذا بدرت منه بادرة فظيعة ، كما قال الشاعر :

أشكو إلى الله جفا امرىء
ما كان بالجافي ولا بالملول
كان وصولا دائما عهده
خير الأخلاء الكريم الوصول
ثم ثناه الدهر عن رأيه
فحال والدهر بقوم يحول

وهذا شاعر آخر يحاور صديقه الذي يلومه على انفراده من الناس، ووحدته عنهم فيصوب رأيه بأن مجالسة الكتب نعمت المجالسة فأنشد إبن الظافر هذا الحوار:

ولاح لحـــاني علـــى وحـــدتي
وأطنـــب في لومـــة الجاهـــل
وقـــال أمـــا يوحـــشنك المقـــام
وحيـــداً وأنـــت الفـــتى العاقـــل
وقـــد قيـــل: مـــن لازم الإنفـــرا
د مـــات ولا عنـــده طائـــل
فقلـــت لـــه: تمـــت عمـــا أردت
وفاتـــك قـــصديّ يـــا عـــاذل
وفي كتـــب لي نعـــم الأنـــيس
ونعـــم المحـــدّث والقائـــل
تجـــدُّ إذا شـــئت جـــد الحديـــ
ـــث وتمـــزل إن فاتـــك الهـــازل

آداب الصداقة

● إن من كريم العهد والمروءة والنخوة عدم نسيان وصلة القرابة وصداقة الصديق القديمة ، وأنشد بعضهم :

نصل الصديق إذا أراد وصالنا

ونصد عنه صدوده أحيانا

إن صد عني كنت أكرم معرض

ووجدت عنه مذهبا ومكانا

إن الكريم إذا تقطع وده

كتم القبيح وأظهر الإحسانا

● ومن الآداب قبول اعتذار الصديق إليك ولو بالكذب ، ففي الحديث :(من اعتذر اليه أخوه المسلم فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب المكس)[٧]

وأنشد بعضهم يقول :

أقبل معاذير من يأتيك معتذرا

إن بر عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من أرضاك ظاهره

وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقال آخر :

قيل لي أسا إليك فلان

ومقام الفتى على الذل عار

قلت قد جاءنا وأحدث عذرا

دية الذنب عندنا الاعتذار[٨]

- ومن تلك الآداب أن تعلم وتستحضر أن:(المؤمن أخو المؤمن) فإن (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وأن المؤمنين كلهم كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله ؛ فكن كذلك مع إخوانك واحذر أن تصاحب إلا من ينفعك حاله أو يدلك على الله تعالى مقاله وعمله وأفعاله ، وإذا أراد الله بعبد خيرا وفقه لمصاحبة أهل السنة والصلاح والدين ونزهه عن صحبة أهل الأهواء والبدع والمخالفين وروي (إن المرء على دين خليله فلينظر أحدكم إلى من يخالل).
- ومنها حسن الخلق لا سيما مع الأقارب والأصدقاء اقتداء بسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – التي مرت الإشارة إليها في المقدمات ، وفي الحديث :(يا رسول ما خير ما أعطي الإنسان ؟ قال:(حسن الخلق).
- ومنها تأويل عيوبه ما استطعت ؛ قال بعض الأئمة :(المؤمن يطلب معاذير إخوانه والمنافق يطلب عثرات إخوانه) وقال بعضهم :(إذا زل أخوك فاطلب له ٧٠ عذرا).
- ومنها الصفح عن عثرته وترك ما يؤنبه عليها ؛ قال تعالى :(فاصفح الصفح الجميل) قيل في التفسير : هو الذي لا يكون فيه معاتبة ولا تقريع ولا تأنيب مع الرضا وزوال ما في الباطن ، وقال الفضيل :(الفتوة : العفو عن عثرات الإخوان) وقال غيره :(من تناسى مساوئ إخوانه دام له ودهم) ومن ثم قيل:

ولست بمستبق أخا لا تلمه
على شعث أي الرجال المهذب

- ومنها موافقته فيما أبيح ومخالفته فيما حظر ، وحمده إذا أحسن نيته وإن لم يساعده عمله ؛ ففي الحديث المشهور (نية المؤمن خير من عمله) وقال الإمام

على كرم الله وجهه :(من لم يحمد أخاه على صدق النية لم يحمده على حسن الصنيعة).

- ومنها ألا يحسد أخاه على ما يراه من آثار نعم الله بل يفرح بذلك ويحمد الله سبحانه وتعالى كما يحمده على نعمة نفسه ؛ وقد مر في التفسير من الحسد ما أن تأمله الموفق لم يحسد أحدا قط.
- ومنها ألا يواجهه بما يكره فإن ذلك يورث الضغائن ويكدر الخواطر.
- ومنها أن تضع أمور أخيك وأحواله على أحسن الوجوه ما وجدت لـــذلك سبيلا ؛ وروي :(ضع أمر أخيك على أحسن وجه ما لم يأت منه بما يغلبك).
- ومنها مجانبة الحقد وملازمة الصفاء والوداد ؛ قال بعض الكاملين :(أخـــذت على نفسي ألا أكافئ أحدا بسؤ قط).

وما أحسن ما قيل :

لمـــــا عفـــــوت و لم أحقــــــد علــــــى أحـــــد
أرحـــــت نفــــسي مــــن هــــم العـــــداوات

إني أحيـــــــــي عـــــــدوي عنــــــد رؤيتـــــــه
لأرفــــــع الــــــشر عــــــني بالتحيـــــــات

ما قيل أيضا :

ومـــــن لم يغمـــــض عينــــه عــــن صـــــديقه
وعــــن بعــــض مـــا فيـــه يمــت وهـــو عائـــب

ومـــــن يتتبــــع جــــاهلا كــــل عثــــرة
يجــــدها فـــلا يـــسلم لـــه الـــدهر صـــاحب

- ومنها ألا يمل إخوانه وأصدقاءه فقد قيل :(ليس لمملول صديق ولا لحسود غنى والنظر في العواقب تنقيح للعقول).
- ومنها الإغضاء عنه في بعض المكاره إن لم تستطع في كلها ، فقد قيل كما ذكره أبو عبدالرحمن السلمي :

صبرت على بعض الأذى خوف كله
ودافعت عن نفسي بنفس فغرت

وجرعتها المكروه حتى تجرعت
ولو جملة جرعتها لاشمأزت

فيارب غز ساق للنفس ذلة
ويا رب بالتذلل عزت

وله أيضاً :

أغمض عيني عن صديقي تعمدا
كأني بما يأتي من الأمر جاهل

وما بي جهل غير أن خليقتي
تضيق احتمال الكره فيما تحاول

وقال غيره :

إذا كنـــــت في كـــــل الأمـــــور معاتبـــــا
صـــــديقك لم تلـــــق الـــــذي لا تعاتبـــــه

فعـــــش واحـــــدا أو صـــــل أخـــــاك فإنـــــه
مقـــــارف ذنـــــب مـــــرة ومجانبـــــه

إذا أنـــت لم تـــشرب مـــرارا علـــى القـــذى
ظمـــأت وأي النـــاس تـــصفو مـــشاربه

- ومنها أن لا تستخف به بل تكرمه على ما يليق به قال ابن المبـــارك: (مـــن استخف بالعلماء ذهبت آخرته ومن استخف بالأمراء ذهبت دنيـــاه ومـــن استخف بالإخوان ذهبت مروءته)...
- ومنها إذا ظفرت بأخ أو صديق فاحذر أن تضيعه فإن الأخوة والصداقة عزيزة قال حكيم :(استوحش من لا أخ لها أو صديق وفرط من قصر في طلبه وأشد تفريطا من وجد واحد منهم وضيعه بعد أن وجده ولو جدان الكبريت الأحمر أيسر من وجدان صديق أو أخ موافق وإني لفي طلبهم منذ خمسين سنة فمـــا ظفر إلا بنصف أخ فتمرد علي وانقلب .

وكتب الأحنف إلى صديق له : أما بعد إذا قدم عليك أخ لك فليكن منـــك بمترلة السمع والبصر فإن الأخ الموافق أفضل من الولد المخالف.

- ومنها ترك المتكبر عليه لما مر مستوفي في المقدمات .
- ومنها حفظ المودة القديمة أو القرابة المتواصلة والصداقة الصادقة لما في الحديث :(إن الله يحب حفظ الود القديم) وان امرأة أتت النبي صلى الله عليه وســـلم فأدناها فقيل له في ذلك فقال :(أنها كانت تأتينا أيام خديجة وان حسن العهد

من الإيمان) قيل (من أحب إن تدوم له المودة فليحفظ مودة أخيه وإخوانـــه القدماء).

ولبعضهم في ذلك يقول :

مـــــا ذاقـــــت الـــــنفس علـــــى شـــــهوة
ألـــــذ مـــــن حـــــب صـــــديق أمـــــين

مـــــن فاتـــــه حـــــب أخ صـــــالح
فـــــذلك المغبـــــون حـــــق الـــــيقين

وقال حكيم :(عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنوا إليكم وان مـــتم يبكـــوا عليكم) ومما يحفظ المودة ويديمها ولا يزلزلها ما قاله بعض الأئمة لما قيل لـــه: (كيف اصحب أخي على شرائط الإسلام والسلامة قال :إن تعطيه من مالك ولا تطمع في ماله وان تنصفه ولا تطلب منه الإنصاف وتستكثر قليـــل بـــره وتستصغر ما منك إليه).

- ومنها إن تكرمه أكثر من إكرامه لنفسه وسئل بعض الأئمة عمن يعاشر الناس ولا يكرمهم فقال:(ذلك لقلة رأيه وعقله فانه يعادي صديقه ويكـــرم عـــدوه وهو نفسه ومن الحديث :(أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك) وقال آخر :(قد جعل الله تعالى في الصديق البار عوضا عن الرحم المدبرة).
- ومنها ملازمة الأدب وحسن العشرة معه ، سئل سيد الطائفة (الجنيد) رضـــي الله عنه عن الأدب فقال :(حسن العشرة).
- ومنها حفظ سره ففي الحديث :(استعينوا على حوائجكم بالكتمان فان كـــل ذي نعمة محسود) ومن كلام بعض الحكماء :(قلوب الأحرار قبور الأســـرار أفضى صديق لصديقه سر ثم قال له : حفظته ؟ قال :لا : لا بل نسيته).

ولبعضهم :

لـــــيس الكـــــريم الـــــذي إن زل صـــــاحبه
بـــث الـــذي كـــان مـــن أســـراره علمـــا

ان الكـــــريم الـــــذي تبقـــــى مودتـــــه
ويحفـــظ الـــسر إن صـــاق وان صـــرما

- ومنها إن تبادر إلى قضاء حاجة رفعها إليك قال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه :(إني لأسارع إلى قضاء حوائج أعدائي مخافة إن أردهم فيستغنوا عني) وقال بعضهم :(لم يبق في الدنيا إلا قضاء حوائج الإخوان).
- ومنها إن لا ينسيه بعد دار إخوانه وأقاربه وأصدقاءه فان نسيان ذلك حينئذ ليس من كرم الأخلاق ولا من شيم من طهر من الأدناس والنفاق وقد قيل : من كرم الرجل حبه إلى أوطانه وشوقه إلى إخوانه ..
- ومنها إذا دعوته إلى مترلك لا على الفور تجدد عهده برسول أو رفقة فانه قد يغفل فتقع وحشة بينكما قال رجل لأبي العيناء :(كن عندي غددا ، قال : قوي عزمي برفقة).
- ومنها إذا دعوته مترلك فلا تحتجب عنه ولا تحجبه عنك فان هذا شأن الجبارين وقد قيل :

قـــــل لمـــــن يحجـــــبني
أيهـــــا الحاجـــــب عـــــني

هـــــذه منـــــك فـــــان
عـــــدت للبـــــاب فمـــــني

- ومنها المبادرة برد جواب الكتاب بالسلام كما تجب المبادرة برده باللفظ فان كان في الكتاب غير السلام كان جوابه من الآداب.

- ومنها الجري على قوانين السنة في الاستئذان بأن لا يزيد على ثلاث بل إذا لم يجب بعد الثلاث رجع ولا يقف قبالة الباب المفتوح كله أو بعضه لئلا يقع بصره على احد من أهل الدار وإلا يقول أنا إذا قيل له من بالباب ؟ بل يقول : فلان وان يسلم عند الاستئذان فيقول : السلام عليكم ادخل .
- ومنها إن يفطر إذا دعي إلى أكل وكان ثومه نفلا وقد شق على الداعي صومه وإلا استمر صائما ودعا للآكلين ولأهل المترل كما ورد .
- ومنها تكرير زيارة الإخوان لكن غبا كما في الحديث وكثرة المسؤال عن أحوالهم وروي أن رجلا زار أخا له في قرية فأرسل الله ملكا على طريقه فقال له : إلى أين يا عبدالله ؟ قال : ازور أخا لي في هذه القرية قال له : طبت وطاب ممشاك .قال ابن مسعود : كنا إذا فقدنا أخا أتيناه فان كان مريضا كان عيادة وان كان مشغولا كان عونا وان كان غير ذلك كان زيارة .

قال بعضهم :

نزوركم لا نكافيكم بجفوتكم
إن المحب إذا لم يستزر زارا

يقرب الشوق دارا وهي بارحة
من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

- ومنها إن يجالس كل أحد بطريقته ومن ثم قيل : إن لاقيت الجاهل بالعلم واللاهي بالفقه والصبي بالبيان آذيت جليسك.

ومما ينسب لأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه :

لأن كنـــت محتاجـــا إلى العلـــم إنـــني
إلى الجهـــل بعـــض الأحـــايين أحـــوج

فمـــن رام تقـــويمي فـــإني مقـــوم
ومـــن رام تعـــويجي فإنـــه أعـــوج

ولي فـــرس للحلـــم بـــالحلم ملجـــم
ولي فـــرس للجهـــل بالجهـــل مـــسرج

- ومنها حفظ الأقارب على قدر قربهم والأصحاب على قدر ودهم قال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه وعن أهل بيته مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة شهر قرابة ومودة سنة ورحم ما من قطعها قطعه الله عز وجل وقـال غيره : صداقة عشرين يوما قرابه ومنها الإنصاف بنفسك والمواساة الأخ مـن ماله .
- ومنها ألا يفرط في صداقة ولا عداوة للحديث المشهور (أحب حبيبك هونا ما عسى إن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى إن يكـون حبيبك يوما) وقيل لأبي سفيان بن حرب رضي الله تعالى عنه (ما بلغ بـك من الشرف ما يرى ؟ قال : ما خاصمت رجلا قط إلا جعلت للصلح بـيني وبينه موضعا أو قال موعدا).
- ومنها ألا يستهزئ بحق كبير جاء رجل إلى سفيان بن عيينه بن خلفه فحيـاه وقال سفيان : حدثني فالتفت إليه فقال يا فتى : انه من جهل أقدار الرجـال فهو يقدر نفسه اجهل.
- ومنها إن تعرف حق من بدأك بالود قال بلال من سبقك بالود فقد استرقك بالشكر.

وزار إمام إماما فقام إليه وأقعده محله ثم قال السابق بالود مبتدأ والمكافئ لــه مقتدي وأنى يدرك المقتدي المبتدئ وفي لفظ : سبقنا بالود والسابق بــالود لا يكافأ.

- ومنها إن تستمع لحديثه سماع مشتهي وألا تصرف بصرك عنــه وألا تقطــع حديثه فان اضطررت لخلاف ذلك فاعتذر إليه .
- ومنها انك تنصحه لكن في السر دون العلن مع المبالغة في البيــان للأصــلح والتبرىء من الخطأ وخفض الصوت ورعاية مقدار علمه وفهمه .

ومنها إن تفتقده وتسعى إليه في المهمات النوائب والأمراض ونحوها مع صلة وان قلت وتحزن في الحزن وإظهار فرح في السرور ومؤانسة بجلوسك عنده ما ظهر لك انه يودك والقيام بقيامهم والجلوس بجلوسهم .

قال الفضيل : ترك قضاء حقوق الإخوان مذلة لهم واحتقار بشأنهم .

ولبعضهم :

فلمـــــا بـــــصرنا بـــــه مقـــــبلا

حللنـــــا الجبـــــا وابتـــــدرنا القيامـــــا

فـــــلا تنكـــــرن قيـــــامي لـــــه

فـــــان الكـــــريم يجـــــل الكرامـــــا

- ومنها التأدب بالظاهر فانه عنوان التأدب بالسرائر رأى الرسول صلى الله عليه وسلم رجلا وهو يصلي وهو يعبث بلحيته فقال :(لو خشع قلب هــذا مــا خشعت جوارحه).

ولما قال الجنيد لأبي حفص أدبت أصحابك آداب السلاطين فقال لا يا أبــا القاسم ولكن سن الآداب الظاهر عنوان حسن آداب الباطن[٩] .

تم بحمد الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

كشف عام بجميع مؤلفات الحبيب/ محمد بن علوي العيدروس (سعد)

الرقم	اسم الكتاب	كُتبَ هذا الكتاب	طُبع هذا الكتاب	ملاحظات
1	التزر اليسير عن (الشيوعية)	نعم		تحت الطبع
2	دفاع عن الحروف المهملة	نعم		
3	حرف الراء	نعم		
4	الحرف الوطنية	نعم	نعم	
5	كيف تجلب الغنى وتطرد الفقر	نعم	نعم	
6	كيف تتجر (التجارة)	نعم		
7	حِكَم الإمام علي	نعم	نعم	
8	الظواهر العصرية	نعم		
9	خواص الليل	نعم		تحت الطبع
10	القراءة	نعم	نعم	
11	السنن المهجورة	نعم	نعم	
12	مختصر التراجم	نعم		
13	مقالات ومقابلات صحفية	نعم		
14	الأشعار الغريبة	نعم		
15	الألعاب الشعبية في تريم	نعم	نعم	
16	الكلمات الدارجة في تريم		نعم	
17	كيف تختار صديقك			
18	الآيات المتقاربة والمتشابهة والمتماثلة		نعم	
19	مختارات من كلام الإمام الحداد	نعم	نعم	
20	نُتَف الزمان في أخبار ما قد كان	نعم	نعم	

الرقم	اسم الكتاب	كُتبَ هذا الكتاب	طُبِعَ هذا الكتاب	ملاحظات
21	النيات الصالحة	نعم	نعم	
22	الماء	نعم		تحت الطبع
23	عجائب النمل	نعم		
24	الأوائل	نعم		تحت الطبع
25	الأسئلة القرآنية	نعم		
26	أسرار الفاتحة	نعم	نعم	
27	الثقلاء	نعم		
28	السواك	نعم		
29	خصائص الرقم سبعة	نعم		
30	الظواهر الكونية	نعم		
31	الأبطال من النساء			
32	الأذان			
33	الشيب والشباب			
34	كتيب عن الخيول والحمير			
35	فضائل لا إله إلا الله	نعم	نعم	
36	خواص أسماء الله الحسنى	نعم	نعم	
37	خواص البردة	نعم	نعم	
38	علاج النسيان	نعم	نعم	
39	كتاب عن القات			
40	اعرف نفسك	نعم		
41	ثناء الغربيين	نعم	نعم	
42	مكاتبات ووصايا	نعم		تحت الطبع
43	معلومات عن العين	نعم		
44	الأدوية في الغذاء			

الرقم	اسم الكتاب	كُتبَ هذا الكتاب	طبُع هذا الكتاب	ملاحظات
45	مفاهيم في القرآن (فوائد من الإعجاز القرآني)	نعم	نعم	
46	كتاب عن الحسد	نعم		
47	الخل	نعم		
48	النخيل وفوائده	نعم	نعم	
49	العُلمَة	نعم		
50	العين والسحر	نعم		
51	معلومات ومعجزات قرآنية	نعم		تحت الطبع
52	مختارات من مجلة دعوة الحق	نعم		
53	الأسئلة القرآنية	نعم		
54	القلب	نعم		
55	خمسمائة سنة من سنن الصلاة	نعم	نعم	
56	فوائد لقضاء الحاجات المهمة والسريعة	نعم	نعم	
57	آداب وأخلاق يحتاجها الحفّاظ			
58	مجموع ما اشتمل عليه القرآن			
٥٩	ليلة القدر		نعم	
٦٠	كتيب عن القهوة			
٦١	الحجاج بن يوسف			
٦٢	تعبير غريب وعجيب للرؤيا	نعم	نعم	
٦٣	دعاء مهم للامتحان مع إرشادات تهم الطالب	نعم	نعم	
٦٤	حكم الغناء في الإسلام	نعم		
٦٥	البكاء	نعم		تحت الطبع

الفهرس